12 me Année No. 595

Lundi - 27 - 11 - 1944

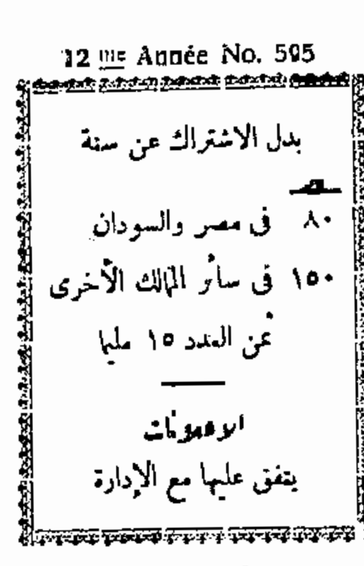
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

أيهمـــا ؟ ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال من الأسئلة الكثيرة التى توجهها الصحف الغربية والعربية إلى المشهورين ، وهو : أيهما أحب إليك : المال أو الشهرة ؟

وقد وجه هذا السؤال فى أمريكا إلى رجال ونساء عندهم المال وعندهم الشهرة ، ولو وجه السؤال إلى أناس لا يملكون هذا ولا تلك ، ولكنهم يسمون إليهما ويطمعون فيهما ، لظفر السائلون بناحية أخرى من نواحى الجواب ، لعلها أصدق وأقرب إلى معرفة النفس من جواب المشهورين الأغنياء

فالإنسان لا يحسن تقدير الشىء الذى هو فى يديه ، لأنه ينزل به عن قدره ، ولا يحسن تقدير الشىء الذى يصبو إليه ، لأنه يرفعه فوق قدره ، ولكنه — على الأقل — يصوره لنفسه وللناس فى صورة هى أجمل وأقرب إلى مرضاة الخيال

كذلك يختلف تقديرنا لما نملكه ونطمئن إلى بقائه وتقديرنا لما نملكه ولا نزال مهددين فيه

وإنما القصد بين جميع هذه التقديرات أن نملك الشىء ونحس الحاجة إليه ، ولكن فى غير فزع ولا اضطراب ، فمن ثم لا نزهد فيه ولا ننزل به عن قدره ولا نغلو فى تعظيمه غلو

من يتطلع إلى الأمنية وهو يحسبها منه بمنزلة السماء من الغبراء

رجعت إلى نفسي في هذا السؤال فلم أفكر في جوابه ، بل وثب بي الفكر إلى موضوعه ، ورجع بي طفرة واحدة إلى أيامى المدرسية في أوائل القرن العشرين ... أيام كانت « أيهما » هي فاتحة كل موضوع من موضوعات الإنشاء العربي يطلب من التلاميذ أن يكتبوا فيه :

أيهما أفضل : العلم أم الغنى ؟ أيهما أحب إليك : الحرب أم السلم ؟ أيهما أجمل : الصيف أم الشتاء ؟ أيهما أنفع للانسان : الشجاعة أم الحكمة ؟

إلى آخر هذه المفاضلات التي استأثرت زمناً بأقلام الناشئين الصغار ، وكتب على جيلهم بعد ذلك بعشرين سنة أن يكون هو الجيل الذي يغرق إلى أذنيه في النقاش والحوار : تارة نقاش الأحزاب ، وتارة نقاش الآراء والأفكار

وعرضت مراحل الإنشاء المدرسي من تلك الرحلة إلى الآن ، وهي المراحل التي حضرتها على كرسي الأستاذ ، ولم أحضرها على كرسي التلميذ

كانت هذه المراحل موزعة بين الوصف وكتابة الرسائل واستعادة الحوادث أو الذكريات

صف الربيع في الريف ، أو صف الحجرة التي تتعلم فيها ، أو صف بناء المدرسة وما حوله ، أو صف رجلاً عظيما رأيته ، أو صف محفلاً من المحافل العامة ... إلى أشباه هذه الأوصاف !

أما الرسائل ، فمنها ما يطلب من التلميذ أن يكتبه إلى أبيه ، ومنها ما يطلب إليه أن يكتبه إلى أستاذه ، أو زميله ، أو شخص من شخوص الخيال

واستعادة الحوادث والذكريات تتلخص في تكليف التلميذ أن يذكر ما مر به في الأجازة المدرسية ، أو في يوم من أيام البطالة ، أو في السفر إلى بلد من البلدان

والمقابلة بين هذه الموضوعات في صعوبتها أو سهولتها على التلاميذ هي في الآونة نفسها درس نافع لسبر أغوار العقول ، وقياس مقدرة الفكر الإنساني في كبار الرجال ، وليس في صغار التلاميذ وحسب

فأصعبها بغير خلاف هو الوصف ، ثم استعادة الحوادث والذكريات ، ثم كتابة الرسائل على اختلافها

وإنما جاءت صعوبة الوصف من كونه امتحاناً للحواس والملكات جميعاً في وقت واحد ، ومنها حواس النظر والسمع وملكات الملاحظة والترتيب والاختيار

فالواصف مطالب بأشياء كثيرة في شيء واحد يسمى « الوصف » ، وهو في الواقع عمل تشترك فيه كل ملكة في الإنسان

فعليه أولاً أن يحصر ما يراه وما يسمعه وما يحسه على اختلاف ضروب الإحساس

وعليه ثانياً أن يرتب هذه المحسوسات كما سيذكرها في وصفه

وعليه ثالثاً أن يختار منها ما هو حقيق بالذكر ، وينبذ منها الفضول الذي يسكت عنه أو يجتزئ بالإيماء إليه

وعليه رابعاً أن يحسن التعبير عما أحسه ورتبه واختار أن يكتب عنه

فلا جرم كان بهذه المثابة امتحاناً صادقاً لعقل الكبير والصغير ، وملكات الفيلسوف والرجل العامي من سواد الناس

ولا إخال الكاتب يعرف بعمل من أعمال قلمه كما يعرف بطريقة وصفه لمنظر من المناظر ، أو خالجة من الخوالج ، أو حادثة من الحوادث ، لأنه لا يهمل ملكة واحدة من ملكات قريحته وهو يعالج هذه الأوصاف ، وإذا هو أهملها عامداً أو غير عامد ، فإهمالها نفسه دليل على ملكات القريحة كدليل العمل والانتباه

وقد رأينا صحفيين مشهورين يرحلون من بلد إلى بلد ، أو من حي إلى حي ، ليكتبوا مقالاً وافياً عن بعض الزيارات أو بعض « الشخصيات » فيعنون بالعرض قبل الجوهر ، ولا يدرون « مكان الشاهد » كما يقال في لغة العامة عند حصر الحديث المفيد

فيحسبون مثلاً أن المهم من حديث « الشخصية » المقصودة هو ما يسألونها عنه وتجيب عليه ، أو يحسبون أن السكوت عن بعض الأسئلة لا يفيد شيئاً كما يفيد الجواب عليها ، أو يحسبون أن وضع الطرف والصور في بعض المواضع من المكتب أو البيت عامة أمر لا يهم الاطلاع عليه ، ويجرون على قاعدة واحدة في السؤال والجواب ، وابتداء الحديث والانتهاء منه ، مع اختلاف الأمزجة والعادات بين أناس ينكشفون من المباغتة ، وأناس

ينكشفون من الشخصية والتكرار ، وبين أناس يتحفظون فى أحوال ، وأناس لا يتحفظون فى جميع الأحوال ، أو يتحفظون فى سياق ، ولا يتحفظون فى سياق

وقد تجرى بين الصحفى والرجل الذى يحادثه محاورة فى التمهيد للحديث يسقطها الصحفى من حسابه ، لأنها جاءت قبل افتتاح الحديث ، ولم تجىء فى صلبه بعد بداية السؤال والجواب ، مع أن المحاورة التمهيدية هذه قد تدل القراء على جوانب فى ذهن صاحب الحديث وعاداته ، لا يدلهم عليها عشرات الأسئلة والأجوبة التى تقال بعد تنبيه وتحضير

* * *

وندع الصحفيين وننظر إلى الروائيين الذين يتخللون رواياتهم بالوصف الحسى أو الوصف النفسى إما نصاً وإما فى خلال السطور

فما أيسر ما نعرف هؤلاء الروائيين قبل أن نعرف أبطالهم وحكاياتهم عنهم ؟ ... هذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هي كلها سريرة نفسية لا محل فيها لاختلاف الصيف والشتاء وتبدل الأماكن والعصور ، وهذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هى كلها حديقة أو غابة لا محل فيها لشىء غير نضرة الأوراق وذبول الأوراق وألوان الأوراق ، وهذا روائى غيرهما يصف لك الدنيا كأنما هي كلها سوق أو مضمار صراع أو مضجع غرام . وكلهم يظهرون بدنياواتهم هذه قبل أن يظهروا لنا أبطالهم من الرجال والنساء

* * *

عرضت مراحل الإنشاء المدرسى فى ذاكرتى ورجعت منها إلى مرحلتى على كرسى التلميذ يوم كنت أفاضل كل أسبوع بين العلم والجهل أو بين الحرب والسلم أو بين المال والجمال أو بين الصيف والشتاء ، أو بين القوة والمرفة ، أو بين أولى الأشياء أحياناً بالتفضيل وأولاها أحياناً بالتهجين والإنكار

وذكرت كيف كنت أختار فى كثير من الأحيان أضعف الشيئين لأجتهد فى تمييزه والذود عنه ، ففضلت الجهل على العلم مرة وفضلت الحرب على السلم أخرى ، وناقشت فى ذلك أساتذتى وأناساً من كبار الزوار وأئمة العقول فى الديار المصرية

ثم عدت أراجع اليوم موقفى من أمثال ذلك السؤال ، وأعنى به كل سؤال يبتدىء بأيهما ويرمى إلى تغليب شىء على شىء كل التغليب

أصبحت أعتقد أنه سؤال لا يجوز أن يوجه إلى عاقل ولا يحتفل عاقل بالجواب عليه

فليس فى العالم الإنسانى مسألتان يكون الحق كل الحق فى إحداها ويكون الباطل كل الباطل فى الأخرى

وإنما تختلف مواضع الاختلاف بمقدار نصيبها فى الحق كثرة وقلة وقوة وضعفاً لا بخلوها منه كل الخلو واشتمالها عليه كل الاشتمال

يسألنى بعضهم : هل تتغلب الديمقراطية بعد الحرب أو تتغلب الشيوعية ! فأقول مبدئياً إن الديمقراطية والشيوعية لن تبقيا كما هما الآن ، ولكن تأخذ الشيوعية من الديمقراطية وتأخذ الديمقراطية من الشيوعية وتتقابلان فى وسط الطريق ، ولكنى أعتقد أن موضع الالتقاء أقرب إلى الديمقراطية بكثير

ويسألنى آخرون : هل تفضل النهضة الفنية أو النهضة العلمية فى الأمم التى تحتاج إلى النهضات ؟

فأقول إن نهضة من هاتين النهضتين لن توجد على انفراد ، ولن تحيا أمة قط بالعلوم دون الفنون أو بالفنون دون العلوم ، فكل عالم تجرد من روح الفن عالم عاجز ؛ وكل فنان تجرد من روح العلم فنان غير موهوب ، ولا جواب « لأيهما » هنا إلا أن تقول « كلاهما » وتعود إلى التفصيل فى التفضيل

ويسألنى غيرهم : أيهما أحب إليك جمال المرأة أو جاذبيتها ؟ فأقول : وهل تتجرد الجاذبية من الجمال وتسمى جاذبية ؟ أو هل يتجرد الجمال من الجاذبية ويستحق بغيرها اسم الجمال ؟

فإذا بدأ السائل اليوم بأيهما ؟ أوشكت أن أجيب « كلاهما » قبل أن يتم السؤال

سألنى بعضهم مازحاً وقد سمع منى هذا الرأى : وأيهما على هذا القياس أفضل : البصر أم العمى ؟

قلت : وحتى هذا

نعم حتى هذا لا استثناء فيه ، لأن العمى هو انعدام البصر وليس هو ملكة تقابله مقابلة المناظرة والمشاكلة . فعلى هذا الاعتبار يمكن أن يقال إن احتجاب النظر فى بعض الأحوال

خير من النظر في تلك الأحوال . ومنها النوم والراحة والإعراض عن القبيح والشناعة وما لا يستحب النظر إليه في جميع الأحوال ، وليس لأحد أن يقول حتى في جواب هـذا السؤال إن النظر خير من عدم النظر في جميع الأحوال

ألم يقل المعري في هذا المعنى فقال :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

فإذا أردنا الإنصاف قلنا : بل في الوجود شيء تأسى على فقده العيون ، وفي الوجود شيء لا تأسى على فقده العيون

و « كلاهما » ثم تفصيل في التفصيل جواب صالح لكل « أيهما » على هذا الاعتبار .

عباس محمود العقاد

على هامش النقد

خواطر متســـــاوقة

في النقد والأدب والأخلاق

الأستاذ ســـيد قطب

مما يؤسف له أن يقف الناقد بين فترة وفترة ليرسم طريقه ، ويحدد أهدافه ، ويعلن عنها للقراء ! ولكننا في دور بفوعة أدبية ، فلا مفر من الوقوف عند هـذه البديهيات . ولعل مما يعزّى عن ضياع الوقت والجهد في هذه الوقفات — وإن كان موضع أسف جديد — ، أن الناقد في الشرق العربي ، لا ينهض لتصحيح مقاييس الفن وحدها ، ولكنه ينهض كذلك لتصحيح معايير الأخلاق !

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كنت أدرك — كما قلت مرة — : « أنني لن أخرج من بين المؤلفين بكثير من الأصدقاء ! فالفنان — بل الإنسان عامة — لا يرى في الغالب إلا الصفحة الجميلة في نفسه ، لأن هذا الجانب هو الذي يسره ويلذه ، ويملّق كبرياءه ويغذي غروره . فإذا ووجه بالصفحتين جميعاً ، فوجئ بالصفحة الأخرى التي يراها لأول مرة ، وحسبها تزويراً عليه . وحتى لو اقتنع بأنها صفحة ، فإنه لن يستريح لعرضها على نظره وأنظار الناس » !

ومن يومها وأنا أفقد الأصدقاء واحداً إثر واحد ، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم ! بل عدداً أكبر لأنني أضم إليهم كل يوم خصوما ... ولكنني أعاهد القراء على أنني سأمضي في الطريق ؛ فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون !

ولقد احتملت منذ أشهر فقد صديق عزيز مقابل مقالة نقد ، أعطيته حقه فيها دون تطفيف !

ولا بد أن يحتمل المرء ما يأسف له من الهنات الخلقية في هذا السبيل أيضاً ، فلبعض المؤلفين حاشية خاصة ، وظيفتها التهليل والتكبير لكل ما يخرجون من أعمال ، والدفاع — بكل أنواع الأسلحة — ضد النقد الحر ، إذا استطاع ناقد أن ينفذ من هذه الشباك !

ولقد رماني الحظ أخيراً في وقعة من هذا النوع ! فلم يكن بد من أن يصيبني رشاش من هذه الهنات ، وإذا كنت قد أسفت على شيء ، فعلى أنني لم أكن عطوفاً عليها وأنا أفهم بواعثها الصغيرة .. وهل أقل من أن أكون جاهلاً ؛ وألا أكون ناقداً لينجو مؤلف من حكم النقد العادل ؟ إنها أيسر سبيل لتجريح هذا « الناقد » الذي لا يعرف كيف يتخلى عن وظيفته على الطريقة الساذجة المتبعة في المحاكم من « تجريح » أفضل الشهود للحصول على البراءة عن هذا الطريق !

ما علينا . فمنذ اليوم سنعطف على مثل هذه الهنات !

* * *

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كانت لي طريقة معينة أؤدي بها هذا العمل ، لا أرى بأساً من عرضها هنا لقراء « الرسالة » :

إن عملي مع كل مؤلف هو وضع « مفتاحه » في أيدي القراء الذين يقرأون أعماله متفرقة ، ولا يدركون القاعدة التي تقوم عليها هذه الأعمال ، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل

وهذا « المفتاح » ضروري للتعريف بالأديب ؛ وإلا كان

النقد عملاً جزئياً ليس وراءه كبير طائل بالقياس إلى القراء . ونقد كتاب دون بيان السمات « الشخصية » التى تطبعه إنما هو عمل ناقص لا يؤدى إلى شىء فى هذا الباب

لا بل إن هذا « المفتاح » ضرورى للمؤلف نفسه لا لقرائه وحدهم . فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى خصائصهم . وهم يستفيدون من الناقد الذى يضع المرآة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصيلة

وليس من وظيفة الناقد أن يغيّر من طبيعة المؤلف التى فطر عليها . ولكن وظيفته أن يعرّف هذه الطبيعة ويبلورها ، ويقيس أعمال المؤلف بها ، ويهديه إليها إذا ضل أو انحرف فى فترة من فترات الضعف والضلال !

وكلما تناول الناقد أحد المؤلفين مرة ، يجب أن يصير هذا المؤلف « معرفة » لدى القراء : لا من حيث الشهرة والبروز ، ولكن من حيث تميز الملامح ، ووضوح الخصائص . فلقد يكون المؤلف ذائع الشهرة عند آلاف القراء ؛ ولكنهم لا يدركون « من هو » على وجه التحقيق ؛ ولا يعرفون « مفتاح » طريقته الموحدة فى أعماله جميعاً

وأذكر أننى سرت على هذا المنهاج فى كل ما كتبته حديثاً من فصول النقد . فلم يكن همى هو التعريف بالكتاب فحسب ، بل التعريف بالكاتب أيضاً . وكانت سمات الكاتب العامة وخصائصه الأساسية ، هى التى تسترعى نظرى ، وتنال اهتمامى . وكان المؤلف فى نظرى إنساناً ذا طبيعة قبل كل شىء ، ووظيفتى هى تصوير هذه الطبيعة . يستوى أن يكون المؤلف شاعراً أو باحثاً أو كاتب رواية أو قصة أو أقصوصة . فما يعنينى عنوان عمله بمقدار ما تعنينى طبيعة عمله

وعلى هذا الأساس تحدثت مثلاً عن أعمال تيمور ، وأعمال المشتغلين بالرواية والقصة والأقصوصة من الكبار والصغار ؛ وعن نزعته بين نزعاتهم ، وعن المدرسة التى يمكن أن ينمى إليها بين مدارسهم . فأما الذين فهموا طريقتى ، والذين يهمهم جوهر الطبيعة الفنية ، فقد وافقونى أو خالفونى فاهمين ، وأما الذين كل بضاعتهم مصطلحات وعنوانات ، ولا يملكون أن ينفذوا من ورائها إلى جوهر الطبيعة الفنية ؛ فقد راحوا يتعاملون ببضاعة من الفهارس والمعجمات !

إن الأديب يكون ذا طبيعة واقعية أو رمزية أو خيالية ، ثم يكون شاعراً وكاتب رواية أو قصة أو أقصوصة ، أو كاتباً اجتماعياً ، أو باحثاً تاريخياً . والناقد المهتم بالطبائع الفنية ، قد يتجاوز العنوان الذى يقدم به أعماله ، ليبحث مباشرة فى طبيعة هذه الأعمال ، كما أنه قد يراعى العنوانات الظاهرية مع الطبيعة الداخلية زيادة فى التبويب والتقسيم . حينما يقف الآخرون أمام هذه العنوانات لا يتجاوزونها إلى النزعة الكامنة وراءها . لأنهم محرومون من الفطنة إلى طبائع الأشياء !

أحب أن يتنبه قرائى إلى هذا الاتجاه .

* * *

وبعد ؛ فالنقد ضريبة وتضحية ! فما أحسب « الناقد » فى الشرق العربى إلا خاسراً لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه :

إنه لا يرضى أحداً إلا القليلين . وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة — أكثر مما ينفقه فى أى فن آخر من الفنون الأدبية ؛ فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب ، أو عشرة كتب أو عشرين فى بعض الأحيان . لقد صنعتها حينما كتبت فى « الرسالة » منذ عام أربعة فصول عن الدكتور طه حسين و « مدرسة الأسلوب التصويرى » والأستاذ توفيق الحكيم و « مدرسة التنسيق الفنى » والأستاذ المازنى و « طريقة الحركة الحيوية » والأستاذ العقاد و « مدرسة المنطق الحيوى » ولقد كلفتنى كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة ومعظم ما كتبوه من مقالات . ولم أكن لأزيد على هذا الجهد شيئاً لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتاباً . وكل ما يعزينى عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين هم عندى اليوم موضوع كتاب !

ولقد كنت آخذ — فى وقت ما — على بعض كتاب

الصحف الأول عندنا أنهم لا يخصصون جزءاً من وقتهم للنقد وتوجيه الحركة الأدبية . فالآن بدأت أفهم أنهم معذورون . فالنقد عمل يستنفد الوقت والجهد ، بلا تعويض مناسب . وخير لهم أن يؤلفوا كتباً موضوعية من أن يتتبعوا أعمال المؤلفين بالنقد . وقد لا يكون بين كل عشرة كتب يقرأونها كتاب واحد يستحق ما أنفق من الوقت في قراءته !

النقد ضريبة يؤديها الناقد من وقته وجهده ! — وأنا أؤديها قدر ما أستطيع — وإنني لأرغب في التخلي عن أدائها لأنشيء أعمالاً أدبية أخرى . فلولا أجازة أعطيتها لنفسي في صيف هذا العام ما استطعت أن أؤلف « كتاباً » . وأشهد أنني لم أتعب فيه أكثر من تعبي في إعداد مقال من مقالات النقد الصغيرة !

ولكنني أصرح — وليقل من شاء ما يشاء — بأنه ليس هناك الآن « ناقد » يؤدي هذه الضريبة . كان هناك رجلان يستطيعان أداءها — على اختلاف في النوع والطاقة — هما العقاد والمازني . فانصرفا — وحق لهما ذلك — إلى الخلق والإنشاء

ثم تصدى لها الدكتور مندور . والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين ومن القلة النادرة بين « الجامعيين » في مصر الذين لديهم ما يقولونه ، وما يزيدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات . ولا يمنعني ما شجر بيني وبينه في وقت من الأوقات من الاعتراف له بهذه الخصائص

ولكنه — مع هذا كله وعلى الرغم من كتاب الميزان الجديد — لا يصلح ناقداً . إنه ناقل ثقافة وشارح آداب . أما النقد فلا . إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه : حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف ، وبين النضج والفجاجة

فالناقد الذي يخلط بين طبيعة المتنبي وطبيعة الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، فيرى أن هناك خيطاً — ولو ضئيلاً — يصل بين هاتين الطبيعتين ، إنما تنقصه الحاسة التي تفرق بين الأصالة والزيف ، ولو تشابهت المظاهر في بعض الأحايين

والناقد الذي يعجبه « تيمور » حين لا يعجبه « توفيق الحكيم » إنما تنقصه الحاسة التي تفرق بين النضج والفجاجة ، أيا كانت النزعة التي ينزع إليها هذا أو ذاك ، وأيا كانت الطريقة التي يسلكها . فالعمل الفني الناضج ينال مكانة ، مهما تكن عيوب النزعة التي أملته والطريقة التي يسلكها ، والعمل الفني الفج لا ينال هذا التقدير مهما تكن نزعته واتجاهه .

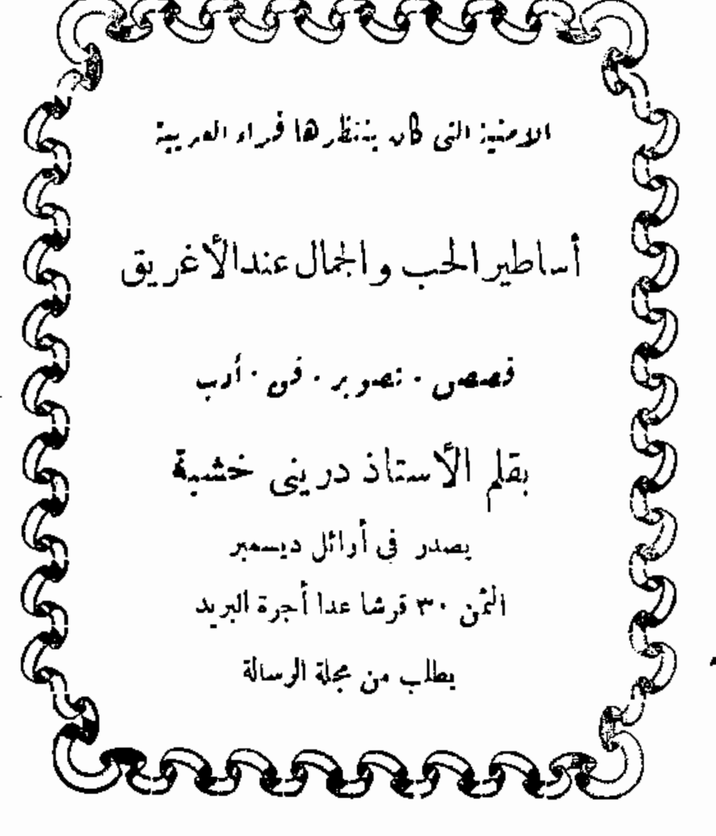
ليست المسألة أن هذا اللون يعجبك أو ذاك . ولكنها في الصميم ، إن هـذا أصيل أم زائف ، وناضج أم مبتسر . وتلك مسألة لا تخفى معالمها على الناقد الأصيل

ويكون الإنسان قارئاً ومثقفاً ، ولكن هذه الحاسة هبة تنميها الثقافة ، وتعجز عن خلقها في النفوس

والدكتور مندور يبدع ويعجب ما ظل يتحدث عن المبادىء العامة ، ولكن الزمام يفلت من يده عند التطبيق ، فتختلط عليه الأصالة بالزيف والنضج بالفجاجة . وتستهويه بعض النزعات الأدبية دون بعضها ، فيضله هذا الاستهواء كما حدث في نماذجه عن « الشعر المهموس » وفي حديثه عن « تيمور »

وهذا لا ينقص من قدر الدكتور مندور ؛ فنحن في مرحلة بعد نقلة الثقافة فيها هم رواد الجيل .

سيد قطب



٢ ـ أبو تمـــام
بين عبقريته وسرقاته
للأستاذ دريني خشبة

استطاع أبو القاسم الآمدى أن يحشد لنا فى كتابه الموازنة طائفة كبيرة جداً من أشعار أبى تمام التى سطا فيها على معانى غيره من الشعراء ، والتى تركها تختمر فى رأسـه — كما يعبر الآمدى — أو التى اتكأ فيها على نفسه — كما يقول أبو بكر الصولى — حتى أخرجها آخر الأمر زائدة المعنى ، أو معدولاً بها عن معناها الأصلى ، أو مذهوباً بها تلك المذاهب الطريفة التى تصورها ابن الأثير ، والتى قسمها إلى تلك الأقسام الخمسة : من نسخ ، ومسخ ، وسلخ ؛ وأخـذ المعنى مع الزيادة عليه ، وعكس المعنى إلى ضده ، على نحو ما بيناه فى الكلمة السالفة . وكان ابن الأثير يضرب الأمثال لكل من هذه الأقسام بأبيات شائقة لشعراء مختلفين ، وكان ماخص منها أبا تمام شيئاً كثيراً . وسنجتهد هنا أن نطبق موازينه على السرقات التى أوردها الآمدى ، لنرى أن أبا تمام كان يسرق حقاً ، وكان يستر هذه السرقة فتخفى على الناس أحياناً ، ثم تكشف عن نفسها أحياناً أخرى ، بل أحياناً كثيرة ... وسنرى أنه كان يزيد فى المعانى المسروقة معانى مبتكرة يوفى بها على غاية الحسن ... بل يظهرها بها فى صور عجيبة لا يقدر عليها إلا خيال فنان مبتكر ، قادر على التوشية الحيّة ، والتلوين البديع . وسنرى أيضاً أنه كان يغلو فى صوره ، حتى يجعلها ضرباً من الألغاز ، يكاد ينقلب إلى ضرب من السخف ، لما يحشد فيها من الإغراب والتعقيد ... الأمر الذى جعـل حساده يقولون فيه : إنه ابتعد عن عمود الشعر ، لإسرافه فى استعمال أدوات البديع — استعمالاً حسياً أحياناً ، واستعمالاً معنوياً فى أغلب الأحيان

وسنرى كذلك أن أبا تمام كان يمسخ المعانى المسروقة ، ويقصر بها عن صورها الأصلية الرائعة ، وسنرى أن علامات السرقة التى نص عليها ابن الأثير ، ولا سيما فى السلخ بأنواعه ، مستوفية فى كثير من سرقات شاعر المعانى الخالد

١ — فمن نسخ أبى تمام قوله :

وركبٍ كأطراف الأسنة عرّسوا ... على مثلها والليـل تسطو غياهبه

أخذ صدره من بيت كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرّسوا ... قلائص فى أصلابهن نُحول

وأخذ قوله :

لما رأى الحرب رأىَ العين توفلسٌ ... والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

من قول إبراهيم بن المهدى :

ومسعر الحرب ، واسم الحرب قد علموا ... لو ينفع العـلم ، مشتق من الحَرَب ؟

ولم ينفعه ستر السرقة بقوله مشتقة المعنى بدل اشتقاق الإسم

وأخذ قوله :

كأن بنى نبهـان يوم وفاته ... نجوم سماء خرّ من بينها البدر

من قول جرير :

أمسى بنـوه وقد جلّت مصيبتهم ... مثـل النجوم هوى من بينها القمر

أو من قول مريم بنت طارق :

كنا كأنجم ليـل بينهـــا قمر ... يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر

وأخذ قوله :

وكانت لوعة ثم استقرت ... كذلك لكل سائلة قرار

من قول الفرزدق :

أنتم قرارة كل مدفع سوءة ... ولـكل سائلة تسـير قرار

وأخذ قوله ، وهو يجمع بين النسخ والمسخ :

فلو أبصرتهم والزائر يمهم ... لما ميزت الحميم من البعيد

من قول محمد بن بشير الخارجى :

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

ولا غرو أن بيت الخارجى أروع !

وأخذ قوله ، وزاد فى معناه وأبدع :

تعوّد بسط الكف حتى لو انه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

من قول مسلم بن الوليد :

لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروءة والمعروف إحجاما

والنسخ هنا كلى فى المعنى ، مع تجويد فيه ، وتبديل للألفاظ

وقوله فى مغنية تغنى بالفارسية :

ولم أفهم معانيها ولكن شجت كبدى فلم أجهل شجاها

من قول الحسين بن الضحاك فى الظرف نفسه :

ولا أفهم ما يعنى مغنينا إذا غنّى

سوى أنىَ من حبى له ، أستحسن المعنى !

وذلك مما يلحق أيضاً بآخر ضروب السلخ عند ابن الأثير ، وهو الأخذ عن معنى ثم الانتهاء إلى جنتين مختلفتين ! والحقيقة أننا حرنا فى أى القولين أشجى وأيهما أملح وأروح ؟

وأخذ صدر البيت التالى ، وعدل بعجزه :

لايحسب الإقلال عُدْما ، بل يرى

أن المقل من المروءة معدم

من قول أبى داود الإيادى :

لا أعد الإقلال عدما ، ولكن فقد من فقدته الأعدام

وعجز بيته :

فتى فى يديه البأس يضحك بالندى

وفى سرجه بدر وليث غضنفر

من بيت مسلم :

تَضى المنايا كما تَضى أسنته كأن فى سرجه بدراً وضرغاما ؟

ونسخ هذين البيتين :

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى

البين أكثر من شوقى وأحزانى

وما أظن النوى ترضى بما صنعت

حتى تشافه بى[1] أقصى خراسان

من قول الأرقط بن دعبل :

نهنه دموعك سن سح وتسجام

البين أكثر من شوقى وأسقامى

وما أظن دموع البين راضية حتى تسح دما هطلا بتسجام

ونسخ هذين البيتين .

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(١) فى الآمدى (حتى تبلغنى) وقد أثبتناها كما فى الديوان .

من قول النظار بن هاشم الأزدى :

يعف المرء ما استحيا ويبقى نبات العود ما بقى اللحاء

وما فى أن يعيش المرء خير إذا ما المرء زايله الحياء

ولا يخفى أن تعبير أبى تمام أسلس ، وإن لم يبق على معنى الأزدى المسكين !

وقوله :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

من قول أبى نواس :

أبِنْ لى كيف صرت إلى حريمى

ونجم الليـــل مكتحل بقار ؟

ولا يخفى أن أبا تمام وإن سرق من أبى نواس إلا إنه أجاد عنه ولم يقع فيما وقع هو فيه من قبح بتكحيل النجم بالقار — أى الزفت ؟ —

ونسخ قوله :

حمراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغمام الزرق

من قول مسلم :

صفراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغيوم البُجّس

وقوله :

وأحسن من نور تفتحه الصبا

بياض العطايا فى سواد المطالب

من قول الأخطل :

رأين بياضاً فى سواد كأنه بياض العطايا فى سواد المطالب ؟

وقوله ، وهو يجمع بين النسخ والسلخ :

لو كان فى الدنيا قبيل آخر بإزائهم ما كان فيها معدم

من قول بشار :

لو كان مثلك آخـــر ما كان فى الدنيـــا فقير

ونختم هذه المنتخبات التى وضعناها فى باب النسخ ، والتى تخيرناها من أكثر من ألفى بيت مما حشد الآمدى من سرقات أبى تمام ، بما رواه أبو محمد بن اليزيدى[1] قال : قال دعبل : لما مات ذفافة العبسى رثاه أبو سلمى المزنى ، من ولد زهير ، واسمه مكنف ، وكان بينهما هجاء فى إخاش بقصيدة منها :

(١) ذكر الصولى الواقعة ونسب روايتها الى محمد بن موسى بن حماد ص ١٩٩

أمتع قصص الحب في الأدب الفرنسي

هيلوئيز الجديدة (*)

La Nouvelle Heloïse

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان الحبّ في القرن السابع عشر يُرافق البطولة ويُصاحب الشرف. ولقد رأيتَ أن الأميرة دُكليف، خشيت أن تؤذى في الحب. فأفضَتْ إلى زوجها بأنها أحبَّتْ، لئلا يمسّ شرَفَه وتُعكّر كرامته. فلما أتى القرنُ الثامن عشر، مالت المرأة إلى دراسة شمائل الرجل وعاداته من خلال الحب. وانقضى ما كان من قبل من حب هائم، يُسْهِر الليل ويُذْهل اللب، ويُضني الفؤاد.

وما لبث النـاس أن انطلقوا... يلذّون، ويفكرون فساقهم هذا الانطلاق البعيد إلى الملل، ردفعهم الملل إلى حب الطبيعة، والرغبة في البساطة، والبعد عن التكلف، مما هيأ النفوس لقبول رواية هيلوئيز الجديدة، والعناية بها.

* * *

كان روسّو قد أشرف على الخامسة والأربعين من عمره، عند ما كتب هذه الرواية. وكان قد نشأ ابن ساعاتي في جنيف. ثم ماتت أمه وهو صغير. وفر أبوه من رجال الحكومة وتركه فولج كل باب، ودخل كل مدخل، ثم مضى لاهياً متشرداً لا يحفل أحداً.

واتصل بمدام دڤرنس، فكانت خليلته وربيطته من غير أن تحبه. كما كانت جورج ساند ربيطة شوبان « Chopin » من بعد.

ثم تركها وصنع كل صناعة. فكان ناموساً لأرشمندريت، ثم سفيراً، ثم سارقاً، ثم موسيقياً، وإلى هذا كله، كان فناناً، حالماً، مرهفَ الحسّ، رقيقَ الشعور، يحس جمال الطبيعة، ويعشق اللذائذ الصافية البسيطة، وكان يرنو إلى زرقة السماء، وخضرة الحقول، وجريان المياه ... ويداعب في نفسه حُلماً جميلا.

(*) انظر ما كتبناه من قبل عن الأميرة دوكلف، في هذه المجلة.

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عُتبى ولا عذر

ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى ... تعست وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضاً سماء ولا جرت ... نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الآمال بعــد ذفافة

فأصبح في شغل عن السَّفر السَّفْر

وما كان إلا مال من قل ماله

وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر(١)

قال أبو محمد: أنشدني دعبل هذه القصيدة ثم جعل يعجب من أبي تمام في ادعائه إياها وتغييره بعض أبياتها!

وقصيدة أبي تمام التي يقصدها دعبل هي مرثيته الخالدة التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي ومطلعها:

كذا فليجل الخطب، وليفدح الأمر

فليس لعين لم يفض ماؤها عـذر

والتي قهر بها أبو تمام أعداءه، بما أبدع فيها من معان، أقلقت بال دعبل، وسهدت جفنيه، فأخـذ أبياتاً من مرثية أبي سلمى المزني في ذفافه، وخلطها بروائع أبيات أبي تمام، ولا سيما:

توفيت الآمال بعـد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سمـاء خر من بينها البدر

ثم جعل يشنع بها على أبي تمام... ولو فطن إلى سرقات أبي تمام التي وقع عليها الآمدي في هـذه المرثية، والتي أشرنا إلى بعضها في هذه الكلمة لكان خيرا له من ذلك التلفيق.

وفي أخبار أبي تمام للصولي (ص ٢٠١) أن محمداً بن موسى حدث بذلك الحسن بن وهب فقال: أما قصيدة مكنف هـذه فأنا أعرفها، وشعر هذا الرجل عندي، وقد كان أبو تمام ينشدنيه، وما في قصيدته شيء مما في قصيدة أبي تمام، ولكن دعبلا خلط القصيدتين، إذ كانتا في وزن، وكانتا مرثيتين، ليكذب على أبي تمام!!

وعلى هذا فليس في ذلك نسخ كما وهم بعض نقـاد أبي تمام ومنهم الآمدي.

(يتبع) [illegible]

(١) رواية الأبيات في كتاب الصولي على غير ترتيب الآن وفيها خلاف وزيادة

وقصد باريس ، حالماً بالمجد . كان يتمنى نصر الأبطال وخلود العباقرة . ولـكن ما هو الثمن الذى ينبغى أن يؤديه ؟ لقد اخترع طريقة لترقيم الموسيق ، وكتب غنائية لم ينشرها ، ثم إنه يحس أنه قادر على التأليف ، فهل يكفى هذا ... ؟

وكان إلى ذلك أيضاً رقيق الشاعر ، ولـكنه متكبر . وكان يعيش فى الخيال . ويبتعد عن الواقع ، ويقول : « إن الإنسان لا ينعم بما يناله ، بل بما يأمله . ولا يحس المرء السعادة إلا عند ارتقاب السعادة . » فرجل كهذا ، قد يجد فى عزلته من النعيم مالا يجده بين الناس . ولـكن هنالك المجد .. وكيف يدركه ؟

واستطاع أن يتصل بمدام دوبان Mme. Dupin التى كانت تستقبل عظماء باريس كلها وصادق ابن زوجها « فرانـكويل » Francueil وكان هذا عاشقاً « مدام ديبيناى Mne d'Epinay » ثم انضم إلى جانب الفلاسفة . وعند ما وضع مجمع ديجون Dijon بالمسابقة خطابا حول الفنون والعلوم ، كتب دفاعه الشهير ثالباً محاسن المدنية : »

« ... أيتها الفضيلة ، أما نقشت مبادئك فى جميع القلوب ، أو لا يكفى ، لـكى نعلم قوانينك ، أن ينحنى الإنسان على نفسه فيصغى إلى صوت ضميره ، عند صمت الأهواء ... »

وذاع صيت روسّو ، وعُرف بأنه عدو لدود للعواطف المتكلّفة ، وأنه صديق الطبيعة . هذا أول لقب من ألقاب المجد ، فليفتش عن لقب آخر

وفى السنة ١٧٥٢ ، مُثّلت روايته « عرّاف القرية Le Devin du village » أمام الملك فى فرساى ، وأوتيت حظاً كبيراً من النجاح فتطلّع الناس كلّهم إلى معرفة روسّو والتحدث إليه

لـكن هذا العالم الذى استقبله ورحّب به ، لم يكن قد خُلق له . ولم تـكن أبهاء باريس ، وما فيها ، لتروقه . « كانوا يلهون ، يحاولون الجمع بين الفـكر والعقـل ، ولا يتعمقون فى المباحث خوف الملل . ويجنحون إلى الإيجاز ، ثم لا تجد واحداً ينقد رأىَ آخر ، أو يؤيده ، ويتعصّب له ... »

فماذا يفيد روسّو من هذه المحادثات ؟

وعزف عن الناس ، وانقطع إلى مدام ديبيناى ، فى أحضان الطبيعة

وهفت نفسه إلى تأليف رواية يدور موضوعها على الحب ؛ هذا الحب الذى لم ينعم به فى أيام صباه ، وقد هاجه ما يحيط به فى عزلته هذه ، فى دار مدام ديبيناى . لقد ذاق طعم حياة هادئة فيها راحة وهناءة وسذاجة . وتمتّع بمرأى الغابات والحقول ، ولذّته أناشيد العصافير ، وأسكرته عبقات الأزاهير . إنها عزلة حلوة ، ولـكن ، ما كان أكثر جمالها وأشد هناءتها ، لو كانت عزلة مخلوقين اثنين عن الناس ، عزلة قلبين متحابين يعيشان فى دار كهذه ، وينعمان بطيب الحياة . وكان الربيع الطلق قد أقبل يضحك ويغنى ، وفى كل مشهد من الطبيعة نداء للحب . فأغراه ذلك كله على كتابة رواية ما . فبدأ ، وأحاط حوادثها بمنظر الطبيعة التى عاش فيها وتمتع بروائها ، أيام كان صبياً غض العود ، على ضفاف بحيرة جنيف . وسماها هيلوئيز الجديدة لأنها تشابه مغامرة هيلوئيز وآبيلار ، المؤدب الذى عشق الفتاة التى عهد إليه أن يؤدبها . وتخيل شاباً لا نسب له ولا مال ، اسمه سان برو ، يحاكى روسو فى خلقه ، ويخالفه فى تبلده ، قد أتى به ليؤدب جوليا ابنة السيد ديتانج الغنى السويسرى . وكانت قد أوتيت الجمال والشرف والتهذيب . فما أن رآها حتى أحبها . فكتم حبه . فلما ثار الهوى ، وضاق به ذرعاً ، كتب إلى جوليا رسالة حبه الأولى . وهى رسالة رقيقة تفضى إليها بحبه

كان سان برو كروسو ، تؤثر فيه العواطف وتهزه الأهواء . وكان ، كما قلنا ، خيالياً حالماً . فلم يطمع من جوليا بما يصعب نواله ويستحيل إدراكه ، بل كان يريد أن يقول لها :

« إن ملامحك خلابة بهرت عينى ... »

« ... إن أبصارنا تتلاقى ، فتفلت من صدورنا بضع آهات فى وقت معاً ، وتنحدر بضع دمعات ...

« ... لقد حاولت اليوم ، مائة مرة ، أن أرتمى على قدميك فأنديهما بعبراتى ، فيفل شجاعتى دائماً رعب قاتل ، وترجف ركبتاى ولا تطيقان ثنياً ... »

وينمو الحب فى قلبى العاشقين . ويحاول سان برو أن يفر خوف الفضيحة فيسافر ، وتتبعه رسائلها تدعوه فيها لـكن كيف السبيل إلى صون الشرف . كلا العاشقين قد أذلها الهوى . ويريدان أن يبقيا شريفين طاهرين ؛ فكانت تتمنى ألا يجفوها

صادقة فى حبها إياه ، ولم يشأ روسو أن يغريها .. فتألم ويئس ، وأذعن ، ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تُجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه سان برو ، وتتطلب أن يحبها ، وأن يصونها ويحترمها

ولكى تتم الرواية ، جعل روسو لهذين البطلين وصيفين يكتمان أسرارها . فاتخذت جوليا ابنة عمها ، واتخذ سان برو صديقه ميلورد ادوارد ، ويجتمع سان برو بجوليا ، وتكون معهما كلير فى غيضة شجرية ، ويكون مشهد القبلة الشهير

« فلما دخلتها ، دهشت لرؤية ابنة عمك تقترب منى وتسألنى قبلة بدلال واستعطاف فقبّلت هذه الصديقة الفاتنة غير مدرك من السر شيئاً ، ولكن رباه ! ماذا أصابنى بعد لحظة ، حينما أدركت ... لقد رعشت يدى ، وأحسست قشعريرة لطيفة تدب فى جسمى ، وشعرت بفمك الوردى ، فم جوليا ، يلتثم فوق فمى ، وبذراعيك تضمان جسمى . أواه ! كلا ليست نار السماء بأ كثر تأججاً ، ولا أشد سرعة من النار التى سرت تلك اللحظة فى جسمى . لقد كانت النار تندلع من آهاتنا ، وتتأجج فى لاهبات شفاهنا ، وكاد قلبى يموت تحت عبء اللذة ، ثم رأيتك ، وقد شحب وجهك ، تغمضين عينيك الحلوتين ، وتتكئين على ابنة عمك ، ثم تسقطين على الأرض من الإغماء . عندئذ أطفأ الرعب سرورنا ، فلم يك نعيمى غير سنا خاطف كالبرق ...

« إن أثر الإحساس العميق الذى أحسسته لن يزول أبداً . احفظى قبلاتك يا جوليا ... فأنا لا أستطيع احتمالها ... إنهن شديدات الأثر ، يخزن ويحرقن حتى اللب »

ويتأجج الحب ويفور وتقسم جوليا ألا تتزوج أحداً غير سان برو

ويحاول سان برو أن يهدىء من فوران حبه ويخفف ثوران هواه فلم ير بداً من السفر . فغاب وفى إبان غيبته ، أعلم السيد ديتانج ، ابنته جوليا ، أن زواجها رجلاً غيرذى نسب ونبالة مستحيل

فلما عاد سان برو ، هزها الشوق ، وعطفها إليه الحنين ، فتقربت منه ، وأزلها الشيطان ، فأضحت خليلته ، وعندئذ شعرت بوخز الضمير

« ليعزب هذا البربرى إلى الأبد عن وجهى ، ليمض فلا يضاعف بحضوره آلام روحى ، ليكف عن التلذذ الوحشى بتأمل دموعى ، ما ذا أقول ؟ وا أسفى على نفسى ! إنه ليس مجرماً . أنا المجرمة وحدى . إن مصائبى لمن صنع يدى ، وليس لى أن ألوم غيرى »

ويسعى ميلورد ادوارد فى إرجاع الأب عما عزم عليه ولكن سعيه كان فشلا . واضطر سان برو إلى مغادرة سويسرة فقصد باريس .

وتكشف السيدة ديتانج بعد سفر ، رسائل العاشقين .

« ضاع كل شىء ، وانكشف كل شىء . لم أجد الرسائل فى المكان الذى خبأتها فيه ، مع أنها كانت فيه أمس مساء ، لا بد أنها لم ترفع من مكانها إلا اليوم ، وقد تكون أمى وحدها استطاعت أن تراها ، ولئن رآها أبى ، فليكونن هذا آخر عهدى بالحياة ! »

ويقف روسو ، برسائله وروايته عند هذا الحد ، وكان يحمل هذه الرسائل فى حقيبته ، ويقرأهن على النساء ، فيبكين رقة وأسى ، وكان يعتقد أن روايته قد تمت ، وأن الحبيبين افترقا إلى الأبد ، فلا لقاء ، لكن حادثاً يقع ، فيكون نتيجة لتلك القصة الخيالية . وهذا مثال واضح يفسر الصلة بين الرواية والحياة وبين الخيال والحقيقة

* * *

عرف روسو ، فى هذه الحقبة ، مدام دوتو . وكانت هذه ، شأن كثيرات من نساء القرن الثامن عشر ، قد فركت زوجها وأحبت سان لامبير ، القائد الشاعر ، عاشق مدام دُشاتليه

وصادف أن لجأت إليه — وهو فى عزلته عند مدام دبيبناى — وحلة قد بللها المطر . ثم زارته زورة ثانية ممتطية حصاناً ، وقد تزيت بزى الرجال .

يقول روسو : « ... ورغم أنى لا أحب شبيهات هذه السخريات ، فقد بهرتُ بشكلها ، وأحببتها ... »

لم تكن مدام دوتو ، جميلة . ولكنها ذات سحر وجاذبية . وسرعان ما اشتد حبه وانتقل فجأة من العالم الذى كان يتخيله على الورق ، إلى عالم فيه ما يلاقيه الهائمون من الوله والحنين والشكوى . وكانت ، تياهة ، طياشة ذات دل ورقة ، وكانت لا تأبى على روسو النزهات فى ضوء القمر ، أو القُبلات على حفافى النهر . لكن قلبها كان شارداً . أسره رجل غير روسو ، وغير زوجها . رجل قائد خيل إليه أنه شاعر ، وأوهمته أنها

صادقة فى حبها إياه . ولم يشأ روسو أن يغريها . . فتألم ويئس . وأذعن . ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه ولمار قد أوتى بسطة من البلادة ، وأن سان برو ، يذعن ، وقد يئس . ثم يحملها فى حل مما كانت عاهدته عليه ، فلا تتزوج غيره . وتذعن جوليا إطاعة لأبيها ، وشفقة على حبيبها ويضطرب سان برو ، فيسافر ليطوّف فى البلاد ، مسكينة جوليا إنها لم تذق من هواها غير القلق والخوف واليأس .. ولم تلق فى طريقها غير حبيب أحبته ، فأبعد منها ، وزوج لم ترض عنه قرّب إليها .

فلما طوّف كثيراً ، عاد فنزل عند ولمار نفسه زوج جوليا . وحادث جوليا أول محادثة ، وكانت خجلى ، وحاولت أن تبدى عذرها فى زواجها ، ولكن زوجها فاجأها ...

يقول روسو « ... ولم تعبأ ، وظلت تتكلم بحضوره كأنه لم يكن . وعند ما سكتت قال لى : هذا مثال من الصراحة التى تسود هنا . وإذا شئت أن تكون فاضلاً حقاً ، فاتبع هذه السبيل . هذا هو الرجاء الوحيد والأمثولة الطيبة اللذان أقدمهما لك . إن أول خطوة نحو العار أن تخفى الأعمال العلانية . إن حكمة واحدة يمكن أن تحل محل الحكم كلها . وهى : لا تعمل ولا تقل ما لا تريد أن تنظره من الناس أو تسمعه منهم ... »

لقد حاولت جوليا إدراك سلام القلب مع زوجها ، رغماً عن هواها القديم الذى يثور فى فؤادها . وهكذا انقلبت الرواية إلى درس أو منهج للأخلاق

لقد أراد أن يثبت أن الإخلاص بين الزوجين هو أهم واجبات الزوج شأناً ، وأن الهوى المنيف عند ما تكون الفتاة عذراء ، إذا دام بعد زواجها من لا تحب يصبح جريمة . وأن المرأة تستطيع أن تنشئ حياة سعيدة على أنقاض حب عظيم

وتقضى جوليا العيش مع زوجها ، فى الحقول ، يراقبان الخدم ، ويوجهان الزارعين ، ويعنيان بالكروم

ويعجب سان برو ، بحكمة ولمار وجوليا ورجاحة عقليهما . ويصف الخدم والحديقة ، وصفاً ممتعاً ، ولكنه لم يستطع أن يطفئ لهب هواه ، أو ينسى حبه القديم فقد كان كل شىء يذكره ويذكرها بنعيم مضى ... وعند ما اتخذت جوليا قارباً تتنزه فيه ، فكرا معاً فى ذلك الماضى الجميل « ... كان صوت المجاذيف المتزن ، يثيرنى لأحلم . وكانت صدحات دجاج الحقول المرحة تذكرنى بنعيميات عمر مضى فتحزننى بدلاً من أن تفرحنى . وشعرت ، رويداً رويداً ، بازدياد الغم الذى كنت به مثقلاً . فلا صفاء السماء ، ولا طراوة الهواء ، ولا شعاعات القمر اللطيفة ، ولا رعشات الماء الفضية حولنا ، حتى ، ولا وجود هذه المخلوقة العزيزة ، لم يستطع أن يطرد عن قلبى ألف فكرة مؤلمة ... »

وينهى روسو روايته بموت جوليا . بعد أن أوصت سان برو بزواج كلير ابنة عمها ، ولكنه أبى . وعاش مع كلير ينشئان أولادها ، وفاء لها

* * *

تلك خلاصة موجزة عن هيلوئيز الجديدة . ولقد أوتيت من الانتشار ما لم يقدّر لغيرها . وقرأها النساء والشبان والشيخان ، بحماسة ولذة . وظلت طوال القرن الثامن عشر ، رواية الجمهور . لقد علّم روسو بها الحب نابليون ، وأخذ عنه غوته وستاندال أيضاً . وعلم بها الناس الفضيلة ، فكان قائداً أخلاقياً ، ثم علمهم بها حب الطبيعة فأحبوها ، وكان أباً وأستاذاً للابتداعيين الذين أتوا بعده .

صبوح الدبه المنجد

الســـلم العالمية
حلم قريب الأمد
للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كتب الأستاذ محمد توحيد بك السلحدار في عدد سابق من « الرسالة » مقالاً عنوانه منع الحرب حلم الأبد ، وأقول رداً عليه إن السلم العالمية حلم قريب الأمد

والحق أننا نعيش الآن على مسمع من قصف المدافع وأزيز الطائرات ، وعلى مرأى من مشاهد حرب شنيعة المهلكات

ولا شك أن أحداً من الدول المشتركة في هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب في إثارتها ، ليكتوى بنارها . والواقع المسلم به أن كل دولة تتبرأ من إعلان الحرب وتصرح بالابتعاد عن تبعة إثارتها

ولم يكن الأمر كذلك في قديم الزمان ، إذ درج الحكام والملوك والأمراء على التفاخر بالعدوان ، والمباهاة بالقوة والبأس والسلطان . فإذا كنا نرى في الوقت الحاضر أن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب يتنصلون من تبعة الحرب ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل في طياته النزعة القوية إلى السلام ، ويبشر بتحقيق هذا الحلم الذى كان من أطماع الناس في القديم ولا يزال من آمالهم حتى الآن

والقول في الحرب أو في السلام يقتضى منا الإشارة إلى الأسباب التى تسوق الدول إلى الخصام أو تدفع بهـا في سبيل الوئام .

قال الأستاذ توحيد بك السلحدار في أسباب الحرب ما نصه: « إن الغرائز والشهوات ما زالت تتغلب على العقل ، والطبيعة لم تصلح بعد من شأن النزعات الأنانية ، ولم توجهها إلى التعاون الصادق ، والإنسان مقسور على الكفاح في الحياة ، والدول من طبعها أن تتعمد التوسع وترغب في الفتح والسيادة الدولية بالمنافسة المطلقة في الاقتصاد والصناعة والتجارة والتسلح . وهذه سبيل لا مندوحة فيها عن الحرب بين حين وحين »

وقد جمع الأستاذ بين الدوافع النفسية في الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات

والحجة لا تستقيم بذكر طبائع الفرد وخصائصه ، لأننا بصدد حرب بين دولة وأخرى ، ومن المسلم به أن طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد ، كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع

والدليل على نقض تلك الحجة النفسية هو نفور الجند في هذه الحرب الحاضرة من الحرب ، لأنها جماعات وكتل بشرية تترك في الميادين يفقد فيها الفرد شخصيته المستقلة .

وأبلغ دليل في هدم كيان تلك الحجة النفسية القائلة بحب الكفاح . وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية ، أن الأفراد يعيشون في داخل الدولة الواحدة ، ويرتفع عددهم إلى ملايين قد تزيد على المائة ، وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة ، الواحدة كخلية النحل ، كل فرد يقوم فيها بعمل ، يكسب معاشه ، ويتصل بغيره من الأفراد في سبيل كسب المعاش ، دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد ، الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام .

فنحن نسلم بوجود النزعة إلى الكفاح في الفرد ، وقد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة ، وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ، ودفع عدوان الأمراض والأوبئة وهى أفتك بالإنسان من أسلحة الحرب .

والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ السلام بين سكان الدولة الواحدة .

فالمسألة في السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد .

فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟

ذلك أن العلة الأساسية في الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها ، وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة ، وتشيع العقيدة في نفس بعضها أنها أقوى من غيرها

بأساً ، وأسمى عقلاً ، وأرفع منزلة ، وأوسع علماً .

فهذا وقت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان .

ولهذا أيضاً ستقع الحرب المقبلة — وأنا لا أشك فى هذا — بعد أن تضع الدول السيوف فى أغمادها ، والطائرات فى حظائرها ، لأنهم يقولون : إن العالم ستتحكم فيه الدول الثلاث المنتصرة : انجلترا ، وأمريكا ، وروسيا ، وقد يضيفون إليها الصين أو فرنسا .

ستقع الحرب فى الجيل المقبل أى بعد عشرين عاما كما يقال ، وقد تقع بعد جيل آخر أيضا ، ولكن الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة ، خطوات سريعة جداً ، هى التى تجعلنا نقول بأن السلم قريبة الآن .

ونحن نؤيد هذا القول بشواهد فى التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة .

ذلك أن الجماعات كانت تعيش قديما فى مدن صغيرة ، أو قبائل متناثرة ، ثم اقتضى الرقى والعمران أن يلتئم شمل المدن فى دول ، وأن تتسع رقعة القبيلة فتصبح شعباً كبيرا .

وكلما اتسعت الدولة زالت الفوارق بين النـاس فى اللغة والتقاليد والعادات والفكر والدين .

وقد ظهر فى العالم عامل جديد لا ينبغى إغفاله لكل من يريد أن يبحث فى تطور البشر . وهو عامل سيقلب كيان الإنسانية كلها ويغير من مظهرها القديم .

هذا العامل هو سرعة المواصلات البرية والبحرية والجوية ، فأصبح انتقال الانسان فى أرجاء الدنيا الأربعة من أيسر الأشياء . وإن آثر أحدنا البقاء فى مكانه ولم يكلف نفسه عناء إلى شتى بقاع العالم ، فمن اليسير عليه أن يفتح المذياع فيتاق أنباء العالم فى لمح البصر . وانظر بعد كيف يتم التقارب الشديد بين الناس جميعاً فى الفكر وأسلوب الحياة .

وهذه خطوة بالغة الأثر فى توحيد العالم

وستعقبها خطوات أخرى يخيل إلينا أنها قريبة الوقوع وهى وحدة اللغة ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الزى ، ووحدة الأساليب فى شتى فروع الحياة .

ألا ترى أن تركيا اصطنعت الكتابة بالحروف اللاتينية . وأن عبد العزيز باشا فهمى يريد فى مصر مثل ذلك . والدلالة التى نعتبر منها فى مثل هذه الحالة وأشباهها ، هى النزعة الشديدة نحو اتحاد العالم فى مظهر واحد . ولن يتأخر اليوم الذى تتم فيه هذه الوحدة لما ذكرناه من سهولة شتى المواصلات وسرعتها .

ولا يغيب عن بالنا أن نذكر فى هـذا الصدد ما دار فى الأذهان فى أوائل هـذا القرن وأواخر القرن الماضى من محاولة اختراع لغة عالمية سموها فى ذلك الوقت « اسبرانتو » . وقد ماتت الفكرة حيناً من الدهر ، ولكنها أخذت تبعث الآن . فتوحيد اللغة أمر لابد من وقوعه لأنه لا يتوقف على الأمل والنية ؛ بل يعتمد على طبيعة الأشياء . وطبيعة العمران الجديد الناشيء عن تيسير المواصلات بين أجزاء العالم ، تقتضى حتما التفاهم بين الناس بلغة واحدة .

ومن العوامل القوية فى منع الحروب وتحقيق السلام بعد توحيد العالم على النحو الذى وصفنا وقوعه فى المستقبل ، انتشار التعليم بين سواد الناس ، وما يتبع ذلك من رقى عقلى ، ونزوع إلى تغليب الحكمة على الشهوة ، وحل المشكلات بالعقل لا بالقوة . وكلما ارتفعت عقليات الأفراد صعب قيادهم قياداً أعمى لمصلحة ذوى المطامع الذين اصطلحوا على تسميتهم بمجرى الحرب ، ولا ننس أن الحرب صناعة كسائر الصناعات ، ويحتاج إعدادها إلى تهيئة جيش مدرب على استخدام السلاح ، وبعتنق فلسفة العدوان ويكره الجنوح إلى السلام ، والعالم يسير الآن نحو خطة جديدة يرمي بها إلى نزع السلاح ، ويجرى فى التعليم على بث روح السلم واعتناق فلسفة السلام

هـذا التطور السريع الذى نشاهده فى العالم يرمى إلى اشتراكية اقتصادية لا شك فيها الآن . وقد كانت الشيوعية هى المذهب المنتظر للفلسفة المادية التى تبغى إلغاء الملكية ومنع الاستغلال المزرى ، ولكنها اعتدلت فأباحت شيئاً من الملكية لضرورة العمران ، فاقتربت بذلك من المذهب الاشتراكى الذى أصبح واقعاً فى جميع الدول الآن . ومن شأن تنظيم الاقتصاد العالمى ، وتيسير المعيشة لكل فرد فى طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه وتعليمه ، أن يشعر جميع النـاس بالراحة من جهة معاشهم ، فلا يبقى محروم تدفعه الحاجة إلى الثورة

٢ ـ وحـــدة الوجود

للبروفيسور ج . ا . بودن

بقلم الأستاذ عثمان حلمي

إن وجود الخالق الذى كوّن العالم من أرواح أثيرية والذى رعى ودعم العالم ، لا يمكن أن يُثبته وجود العالم نفسه ، بينما يظن « نيوتون » فى موافقة للتقاليد أنه لما كان للعالم بداية فإن النظام الكونى كان أزلياً منذ أن ضمن وجود الله إعادة تجديده المستمر . ويرى نيوتون أن فى شتى أجزاء الفضاء إلهاً يُشكل خلقه فى المادة وكذا فى قوانين الطبيعة ، ومن الجلى أن الطبيعة فى نظر « نيوتن » ليست محض كتل ميّتة عمياء تصطدم على غير هدى وتتجمع أو تنفصل فى الفضاء ، ولكن العالم تتخلله روح خالق يدين له العالم بوجوده كما يدين بتدعيمه وحفظه لهذه الحقيقة ، وهذا يجعل الدنيا قابلة للفهم كما يجعلها جميلة مقبولة

يسخر ليبنتز Leibnitz من فكرة أن الله غير قادر على أن يخلق آلة ميكانيكية فوراً تسير بنفسها ، ولكنها فى حاجة إلى عامل معها لحفظها ، إلا أن « ليبنتز » لم يقدر حساب اتجاه الانحدار فى المادة (انحلال الحركة)

فنى عالم « ليبنتز » لا يوجد فقدٌ عارض ، غير أن فهم « ليبنتز » فى إعادة التناسق فى الذرات الهيولية التى تدور كالساعة منذ الأزل لم يبرهن عليه بنتيجة يرتاح إليها العلم الحديث وأبعد من هذا فإن لابلاس Laplace قد تناول علم نظام الكون فى مبادئ نيوتون (بفرض عدم وجود الله) ولكنه لم يعمل حساب قوة قابلية المادة للتحول

ويرى كلارك ماكسويل Clerk Maxuell ثانى أعظم مهندسى العلم الحديث وجهة قابلية المادة للتحول فيخال أن (روح العالم بكل شيء) الذى يقدر أن يتصرف بدقائق أجزاء الطبيعة قد يعكس تدرج الانحدار المادى باختبار عاقل مدرك ، غير أن (روح العالم بكل شيء) اصطناعية بجانب إله نيوتن . ومما لا ريب فيه أن نيوتون رغب فى أن يعرف الله وأن يكشف عن جوهره بينما ارتضى علماء اليوم أن يقروا بجهلهم ، فهو مثلاً كان متأثراً بحقيقة أنه فى أى توزيع لكمٍّ من المادة عدد لا حصر له من الأنظمة والقوانين ، وأنه يجب أن يكون هنالك اتجاه إلى نظم أخرى خارجة عنها حتى يمكن أن يظل استمرار تناسق الأشياء وتوازنها الذى لا يمكن أن يدوم بغير قوة إلهية لحفظه ، وجدير بعلماء هذا العصر أن يلاحظوا ، ما هى ؟

هو يجزم أن هذه الدنيا سائرة لا محالة إلى نهاية بعد قليل من بليونات السنين من يومه ، والذى نسيه هو أن مسألة النهاية محددة بمسألة البداية ، وعالم حقيقى كنيوتون يهمه أن يقف على حقيقة كل ذلك

لقد كان نيوتون عالماً عظيماً بما وراء الطبيعة بفضل سلامة بصيرته وصحة وجدانه ، فضلاً عن تخصصه الفنى ، وإن درايته بما وراء الطبيعة لتزيد كثيراً على ما تطلبه حاجة علمه

(إنك لا تستطيع أن تفصل الله عن العالم الذى تخصه العلم ثم تستطيع بعد ذلك أن تزعم أنك قد اقتنعت بهذ العلم)

هذه النظرة من فلسفة نيوتون قد أهملت طويلاً ، وقد قال لنا علماؤنا السفسطائيون إن (كانت) Kant قد دحض فلسفة نيوتون بتدليله على أن الفضاء والزمن وهميان ـ أى فى العقل ـ وإنه بناء على ذلك لا يمكن أن يقال إنهما يعزان العالم الحقيقى إلا أن كل ما أورده (كانت) لم يكن إلا إظهار منطق نيوتون بصورة (إقليديسية) متخصص بعلم الفضاء ، وأن النظام الزمنى لم يكن ليستمد الأمن عقولنا ، إن (كانت) لم يدحض نظرية الفضاء التجريبى الذى بنى عليه علم نيوتون حقيقة وهذه لم يمكن دحضها بحجج سابقة ، وفضلا عن ذلك فإن إيمان نيوتون بدقة هذا

وامتشاق الحسام للحصول على الطعام

فإذا ذهبنا مع أصحاب الفلسفة المادية الذين يفسرون جميع الحروب التى حدثت فى التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، فإن تحقيق المساواة لجميع سكان العالم فى الحياة المادية ، وهو ما يقضى به التطور الذى نشهد آثاره ، كفيل بمنع الحرب وإقرار السلام ، ولهذا صح ما نقوله من أن السلم حلم قريب الأمد ، لا أنه حلم الأبد

أحمد فؤاد الأهوانى

النظام المحكم المتزن فى الطبيعة سيبقى حجة تتحدى العقل الإنسانى ، وإننا لا يمكننا أن نهمل سبق هذا النظام ولكن يجدر بنا أن نجهد أنفسنا لكى نكشفه كما وجدنا إلى ذلك سبيلا

إن إصرار نيوتون على فكرة ضرورة وجود مبدأ ميكانيكى سام فى الطبيعة سيبقى كذلك ، ولقد قال بعض ذوى الكفايات العلمية المحدودة من متأخرى اللاأدريين ان (كانت) قد حطم أساس البراهين التى أقيمت على وجود الله ، غير أن (كانت) لم يحطم فى الواقع إلا البراهين السابقة التى بُنيت على الأوهام وشرود الذهن الذى لا حد له

إن رأى نيوتون فى الله كواسع ودائم وموجود فى كل مكان كان رأياً علمياً غير ثابت عند الطبيعيين كما أنه لم يكن ليستطاع جعله مثاراً للجدل

إنه ليوجد سبيل واحد نستطيع به فهم الكون كدعوى سائرة ، وذلك كما يقول أفلاطون عن طريق بعض الشعور بتسلط الحياة والعقل ، والحياة هى الشيء الوحيد الذى نعرفه والذى تصل به الطاقة إلى أعلى مستوى فى النظام ودقة الترتيب .

إن الجسم الحي هو النوع الوحيد من الأشياء الذى يستطيع أن يُطوِّع الطاقة فى حدود أجزائه بحيث يمكن توطيد صلة تداولها المشترك بين مصدرها وهدفها ، والطاقة فى الجسم الحي غير مبعثرة كيفما اتفق فى التوزيع بحيث يمكن أن يعدم جزء منها شيئاً آخر فى سبيله ثم يكون لهذا عواقبه المرجوة الموافقة ، ولكى تكون الصلة مناسبة على الدوام فإنها لابد أن تكون دائمة حتى فى المصادفات ، والجسم الحي لا يعمل كمجرد مجموعة عرضية من الأجزاء مع مجموعة عرضية مماثلة من الصلات العرضية ، ولكنه يعمل كوحدة ، وتدار طاقات الجسم كلها لصالح الجسم كله ، وبسيطرة ضابط على جميع الأعضاء فإن كل عضو يقوم بوظيفته حسب منهجه الخاص

وليست كمية الطاقة فقط هى التى يُعوَّل عليها ولكنها الطاقة المناسبة وعملها المحدد الذى ينجز حينما تدعو الحاجة اليه

فى حالة ما إذا أصيب الجسم بجرح فان عدداً لا يُحصى من الكريات البيضاء يلم شمثه ويندفع إلى موضع الخطر لتلافى سوء نتائج ما حدث ، وليست هذه بالطبع مسألة مصادفة ، ولا تتكاثر هذه الكريات بدون تمييز فى النظام والترتيب حتى يكون منها القدر الكافى فى الموضع المعين فحسب ، ولكن النشاط الكلى للجسم يتركز فى نقطة الخطر لحصره ، أما كيف ينتقل نشاط الجسم فى مثل هذه الحال فإن ذلك غائل فى غموضه وتعقيده حالة النشاط الإشعاعى فى فضاء الكون »

إننا نعرف أن لنشاط الغدد المهمة مثل الغدة الدرقية أهميتها البالغة فى حالة دثور وتجدد أجزاء الجسم المتعددة التى قد يكون بعضها بعيداً عن الغدد . ولكننا لا نعرف شيئاً عن انتقال هذا النشاط آلياً

وقد يكون إفراز عصارات الغدد داخلياً ومع ذلك فإنها تؤثر فى النواحى المتعددة التى هى فى حاجة إليها فى كل مكان من أجزاء الجسم

نجد فى الجسم الحى حينئذ مثالاً بل المثال الوحيد للعلاقة المشتركة — علاوة على المدى — بين الطاقة وهدفها

ففي الجسم الحى بناء وتجديد لأجزائه ، وهما فى خدمة الجسم كله .

ولو اعتبرنا الأمة كوحدة فى مقابل جسم الفرد لوجدنا الطريقة واحدة فى البناء والتجديد لحفظ كيان الأمة . والمجتمع هنا يكوِّن حياة الأمة في مقابل حياة الفرد ولكن المبدأ واحد

والآن لنفرض أننا فهمنا الكون قائماً كوحدة بتعدد جزئياته التى يجب أن تكون مناسبة لنا لتعليل ما يمكننا فهمه من أسرار الكون من المادة إلى العقل الخالق — يجب أن نفهم أن الكون تدب فيه الحياة والروح ، وأنه ليس مجرد كتل مبعثرة من المادة ، ولنفهم أنه كوحدة حية ليس معناه أن كل جزء فى الكون عضو حى ، وهذه هى مغالطة في التقسيم ، فى الجسم الحى الذى نعرفه توجد عناصر وتحولات كما يستعمل هذا التعبير فى الاصطلاحات الطبيعية والكيميائية — وهما يعدان حياة الجسم مع سيطرة الضابط — ولكنهما غير عضوين

عبد الرحمن عزام بك

لمن لا يعرفه من قرب

[بمناسبة تعيينه رئيساً للشئون العربية بوزارة الخارجية ، وأميراً على ركب الحج المصرى هذا العام]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

« كتلة » دقيقة من الأعصاب ! كلها نقاء وطهر ، ليس فيها شر أصلا . عليها وجه دقيق الملامح فى سماحة وجد وتواضع ، فيه نفس عجيبة فى هذا الزمان بل وفى كل زمان ، تطل من عينين نافذتين فيهما ذكاء وليس فيهما خبث الذكاء ... وتتضح عبقريتها إذا نطقت مسترسلة هادئة واصلة إلى أغوار الحق . إذا سمعتها تتحدث سمعت منطقا مسلسلا مرتباً واضحاً يلقى فى هدوء وقوة استدلال وبلاغة استيعاب وهدى بصيرة ملهمة ، ومنطق طبع سليم من الالتواء والاهتمام بصغارات الحياة وصغائر الناس .

له عقل ذو قدرة عجيبة على تلخيص القضايا الكبرى المربكة وإيضاحها فى تحديد دقيق .

بكرت رجولته وحساسيته بالمسئوليات الوطنية والقومية والمالية الكبرى فحمل من أعباء الجد وأوشحته ما لم يحمله أحد فى مثل شبابه الأول ، وظفر من تقدير من اتصل به من رجال السياسة والحرب فى الشرق والغرب ، وهو حدث ناشىء فى باكورة الشباب ، فأدار ثورة وأقام دولة ، وأصلح بين أقوام مختلفين ، وألف بينهم ووحدهم وهو فيهم غريب نزيل فى الحدود الأولى من العقد الثالث من عمره .

عليه سكينة منزلة من الله فى جميع الظروف . صابر دائما ، باذل دائما ، يبذل من نفسه وماله وشعاره قول محمد رسول الله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » وهو قد وسع الناس بأخلاقه وماله معاً . فهو فى بذل المال يحقق القول الشريف : « يعطى عطاء من لا يخشى الفقر » . وما يبذله من النفس شىء كثير عظيم عميق يتصل بأصول الخير فى الوجود . الخير السلبي والإيجابى .

نظيف اللسان والجسد . لم يقع عليه ظل شبهة ، لا ينطق هذراً ولا سخفاً ولا سباباً ، ولا ينال أحداً فى حضور أو غياب ، ويغفر غفراناً واسعاً كل ذنب . يقدر ضعف النفوس البشرية وينظر إليها نظر الملأ الأعلى سواء أ كانت قريبة أم بعيدة فى الجنس أو الدين والقومية .

حيىّ يستحى من الناس فينالون منه بحيائه ما رهقه فى بعض الأحيان . ومع ذلك لا يتململ . فهو كالنهر الكبير يأتى إليه كل وارد فلا يردّه ولو كان كلباً ... لأنه واسع طهور لا يتنجس ... يجمع على حبه من جميع الأحزاب والأجناس والأديان فليس له فيما أظن عدو بالمعنى المعروف للناس ..

متواضع ليس لديه فروق مصطنعة فى معاملة الناس ، يملكه الفقير الضعيف المحدود ويأنس به .

زاهد حقيقى فى دنيا الناس وزينتها ، فلا يهتم بصغائر اللباس والرياش . وحظه من الدنيا حظ قليل لم يجد لديه من الوقت ما يتذوقه ..

حليم لا يثور ولا يؤذى عشيره بجارحة ، ولا يحب السيطرة والتحكم ، مع ثقة بالنفس واعتزاز بالكرامة فى عدم تبجح أو ادعاء أو تظاهر .

ليس به لهفة على شىء مهما كان . فهو دائما هادىء الأعصاب ، وإن كان كثير الآلام الاجتماعية ، عميق الأحزان المقدسة فى الدين والوطنية والقومية

الخير عنده واضح المسالك ، فلا تأويل ولا عذر يصرفه عنه ويبعد قلبه عن مقتضيات البر والإحسان .. **كأن لكل قاصديه**

ومن الواضح أننا لو فهمنا الكون كوحدة فانه لا يمكن أن تكون هناك علاقات خارجية — العلاقات حينئذ يجب أن تكون داخلية — لأن الكون ليس له خارج — والعلاقة بين جزء وجزء مع الضابط هى فى أجسامنا أو فى المجرة النجيمية أو فى السديم اللولبى سواء

ويمكننا أن نقرر أنه لا توجد طاقة مبددة فى هذا الفراغ من الفضاء ، كما يمكننا أن نعتبر النشاط الإشعاعى فى الكون كدم الحياة له ، وبسيطرة الضابط العام يدور الجميع .

يتبع

عثمان حلمى

عليه حقا لازماً يلام إذا قصر فى أدائه ، وطالما تجبت لصبره على رجاوات الناس ، فهو كنز من الصبر والاحتمال لا ينفد ، أو هو كالشجرة المثمرة المباحة القريبة الجنى ، لا ترد يداً عن قطاف .

ما عرفه أحد من الناس إلا وأمسك بتلابيبه وعض على علائقه معه بالنواجذ ! فإن كان من أهل العلم وجد عنده علما وفقها بلباب الحياة وبصرا في شئونها وعلومها . وإن كان من أهل السياسة وجد لديه بصيرة ملهمة تنفذ إلى بواطن الأمور وتشير إلى مصادر الأحداث ، وتضع يدها على ماغاب عن أكثر الأذهان ، وإن كان من أهل السلوك والخلق وجد عنده فهماً له وتقديراً ورفقاً لشأنه وتشجيعاً واسع المدى . وإن كان من أهل الشر الذين لا يؤمنون بالخير وجد في شخصيته وسلوكه رداً ونقضاً بليغاً على دعواه يحمله على أن يرجع النظر كرتين فيما رأى لنفسه وما اتخذه من مسالك الشر .

إنه يرفع الحياة الإنسانية ويرسم المثل الأعلى أمام « الماديين » وأمثالهم حتى يتيقظوا إلى أن فى الحياة روحاً من الخير هى أثمن وأعظم مما يملكون وما به يفتنون وإليه وحده ينصرفون .

فهو لطيف النفس والجسم كالنسيم الرقيق الذى يدخل الرحمة على النفوس البائسة المنافقة . وبالإجمال لا حصر لوقائعه فى المجد والخير والسياسة الرشيدة ، ولذلك يستطيع كل من عرفه أن يذكر عنه قصة أو قصصاً تكفى لرفع نفس إلى العظمة والذكر الطيب الخالد .

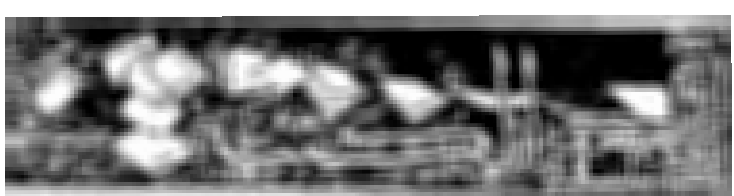
وقد كافأه الله وجزاه بأن أراه الدنيا فى الشرق والغرب فأوسع له فى آفاق المعرفة والخبرة ، وجمع عليه قلوب من عرفه من رجالات الشرق والغرب . وكثير ما هم !

ولن أنسى قول المرحوم « مستر ألبرت فيش » الوزير المفوض الأسبق للولايات المتحدة فى مصر قبيل سفره من مصر إلى منصبه فى أسبانيا بيوم واحد حينما زاره ليودعه فى مكتبه برياسة القوات المرابطة منذ ثلاثة أعوام تقريباً : « ما كنت لأسافر من مصر قبل أن أودع اثنين : جلالة الملك فاروق وأنت »

فحسب عبد الرحمن بك شرفا أن يذكر هذا الذكر بجوار اسم « الفاروق » على لسان رجل أحب مصر والشرق العربى وفهم روحهما وعرف من يمثلها خير تمثيل .

هذا النموذج الإنسانى الرفيع الذى عرفته من قرب معرفة جيدة، أحببت أن أرسم له صورة عاجلة لمناسبة تعيينه عميداً للشئون العربية بوزارة الخارجية وأميراً على ركب الحج هذا العام ، أضعها أمام الشباب الذى اختلطت عليه نماذج الخير والمجد ، ونماذج الشر والضعة . وإن فيه لقدوة صالحة لمن يريد أن يقتدى .

عبد المنعم خفوف



كتاب المستقصى للزمخشرى

محمود جاد الله الزمخشرى المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة إمام من أئمة اللغة له تصانيف فائقة فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى ، وغيرها منها : (تفسير الكشاف) و (أساس البلاغة) و (المفصل فى النحو) وهذه أشهر كتبه وأكثرها تداولاً ، وله تصانيف غير هذه لا يعرف شىء عنها ، منها (المستقصى فى الأمثال العربية) ، ولندرة هذا الكتاب أحببت أن أقدم شيئاً عنه على صفحات « الرسالة » العزيزة

لم يذكر صاحب (معجم المطبوعات العربية والمعربة) هذا الكتاب فى حديثه عن كتب الزمخشرى المطبوعة ، وهذا المعجم شامل لأسماء الكتب المطبوعة فى الأقطار الشرقية والغربية من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية سنة ١٩١٩ . على أن المرحوم جرجى زيدان يذكر فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) شيئاً عنه ، فيقول : « إن منه نسخة فى المكتبة الخديوية فى ١٧٨ صفحة ، ومنه فى مكاتب أوربا ، والظاهر أنه غير مطبوع ... »

وأقول إن النسخة التى اطلعت عليها تقع فى ٤٧٨ صفحة ولست أعتقد أن فى الشرق نسخة أكمل منها

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب إنه قد خرج هذه الأمثال « فى واحد وستين باباً ينطق كل باب منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ، ويفصح عن الاستشهاد وسياقه المراد آخراً ، وما منها إلا ما يتعلق فى اللغة بسبب ، ويضرب فى الاستعارات والتشبيهات بسهم » . وقد عقد الباب الأول منها للكلام فيما يضاف إلى اسم الله تعالى ، والباب الثانى فيما يضاف إلى الأنبياء ، والباب الثالث فيما يضاف إلى الملائكة والجن ، والباب الرابع فيما يضاف إلى القرون الأولى ، والباب الخامس فيما يضاف إلى الصحابة والتابعين ؛ ولا أريد أن أعدد جميع الأبواب ، وإنما أريد أن أذكر نماذج للمواضيع التى طرقها من غير أن ألتزم فى ذلك تسلسل الأبواب . فقد ذكر فى الأبواب الأخرى ما يضاف إلى الشعراء ، وما يضاف إلى البلدان والأماكن ، وما يضاف إلى الحيوان والطير ، ثم ما يضاف إلى النيران والشجر والنبات والطعام والشراب والسلاح والليالى والأوقات والأزمان ، ثم الأدب وما يتعلق به ، ثم فى فنون مختلفة مرتبة على حروف الهجاء ...

يتكلم فى الباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله تعالى فيبين لماذا يقال : أهل الله ، وبيت الله ، ورسول الله ، وكتاب الله ، وخليل الله ، وأرض الله ، وسيف الله ، ونهر الله إلى آخر هذه الإضافات . ثم يمضى فى شرحها فيقول فى قولهم أهل الله مثلاً : « إنه كان يقال لقريش فى الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب فى المحاسن والفضائل والمكارم التى هى أكثر من أن تحصر ؛ فمنها : مجاورتهم لبيت الله تعالى ، وإيثارهم سكنى حرمه على جميع بلاد الله تعالى وصبرهم على أذى مكة وخشونة العيش بها ، ومنها ما تفردوا به من الإيلاف والرفادة والسقاية والوفادة والرياسة.. » وهكذا يمضى فى بيان فضائل قريش وتعداد مناقبها . ثم ينتقل إلى الكلام فى بيت الله وفضائله ورسول الله (ص) وفضائله ثم ينتقل إلى الكلام فى سيف الله (خالد بن الوليد) . ويقول مثلاً عن نهر الله : « ... من أمثال العامة والخاصة إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ، ونهر معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد وعليهما أكثر الضياع الفاخرة والبساتين النزهة . وإنما يريدون بنهر الله النيل والأمطار فإنها تغلب سائر المياه والأنهار ، ولا أعرف نهراً مخصوصاً بهذه الإضافة سواها »

وينتقل بعد هذا إلى الكلام فى إضافات أخرى مثل حسن يوسف ، وبلاء أيوب ، وصدق أبى ذر ، وحلم الأحنف ، وندامة الكسعى ؛ فيذكر الحوادث والنوادر التى كانت سبباً فى هذه الاضافات وهو فى كلامه هذا أقرب ما يكون إلى المؤرخ . على أنه حين يتحدث عن الشعراء وما يضاف إليهم يجمع الأدب إلى التاريخ ، وقد ذكر الشىء الكثير مما يضاف إلى الشعراء مثل : حلة امرىء القيس ، وحلم لبيد ، وحوليات زهير ، وصحيفة المتلمس ولسان حسان ، وسيف الفرزدق ، وغزل ابن أبى ربيعة .. الخ ، ثم يتحدث عن حلة امرىء القيس فيقول : « يضرب مثلا للشىء

الحسن يكون له أثر قبيح » ، ثم يذكر قصة امرىء القيس ووفوده على قيصر. ويقول عن لسان حسان « يضرب به المثل فى الذلاقة والطول والحدة » ثم يذكر طرفاً فى أخبار حسان ويقول عن سيف الفرزدق « يضرب مثلا للسيف الكليل بيد الجبان » ، ويسوق حادثاً وقع لجرير والفرزدق كان سبباً فى هذا المثل . وقد كسر أبواب الكتاب الأخرى على ذكر مختلف الإضافات ولا أريد أن أمضى فى الحديث عنها لأن فيما ذكرت ما يكفى لإعطاء فكرة عن الكتاب وما فيه ولست إلى غير هذا قصدت . (البصرة) عبد الحميد صالح البكر

مليم الأكبر

[جماعة النشر للجامعيين]

الأستاذ عادل كامل من أدباء الشباب المصريين الذين لهم فى عالم القصة قدر ملحوظ ، وقد فازت قصته « ملك من شعاع » بالجائزة الممتازة فى مسابقة وزارة المعارف ، ولكن قصة « مليم الأكبر » لم تفز بشىء من ذلك ، مع أنها فى نظرنا خير من قصته الفائزة ، وكان ظريفاً من جماعة النشر للجامعيين أن تختار هذه القصة بالذات لتقدمها لجمهورها من القراء لتعطيهم مثلا من أمثلة التحكيم الأدبى فى مصر ، وخصوصاً ذلك التحكيم الرسمى العجيب ... وقصة مليم الأكبر تشمل مقدمة ضخمة فى ١٢٨ صحيفة هى من أغنى المقدمات الأدبية التى تذكرنا بمقدمات برنرد شو الممتعة .

ولا بد من عودة إلى القصة فى فصل بذاته إن شاء الله .

وجيدة

[جماعة نشر الثقافة]

لست أدرى لماذا يؤثر الأستاذ شعبان فهمى الكتابة باللغة الدارجة المصرية وهو يداول الحوار بين أبطاله ، ولا سيما فى مثل قصته الجميلة « وجيدة » ... لا أنكر أننى كنت من أنصار هذا الرأى قبل أن أستبين خطله ، فاللغة الدارجة فى رأيى هى أداة للتحادث مؤقتة ، وسيقضى عليها انتشار التعليم والصحافة الراقية المهذبة ... ثم نحن ليست لنا لهجة دارجة واحدة ، بل قد تمدو لهجاتنا الدارجة العشرين أو الثلاثين ... هذا غير لهجات الشعوب العربية الأخرى ... فإذا كان لدينا هذا اللسان العربى المبين الجامع الذى يخلصنا فى طول البلاد العربية وعرضها ، من هذه اللكنات العجيبة ، فلماذا نهمله وهو خير لنا كل الخير ؟ ثم لا يفوتن الأخ الفاضل أنه بإيثاره اللهجة الدارجة القاهرية يحصر مجهودة الأدبى فى محيط ضيق وقراء معدودين ، فلا أظن مثلا أن قارئاً عراقياً أو شامياً أو جزائرياً يرغب فى قراءة قصة طويلة كل حوارها بهذه اللهجة الدارجة التى لا يفهمها ، ونحن كمصدرين للأدب إلى إخواننا العرب ، يجب أن نلقى بالنا إلى تيسير الأداة التى نخاطبهم بها

وفى القصة بعض الآراء الجريئة التى يستجيدها بعض القراء كما يفرق منها بعضهم الآخر . (د . خ)

القاهرة — من المعز إلى الفاروق

[للبكباشى عبد الرحمن زكى]

مؤلف هذا الكتاب من رجال السيف ؛ إلا أن الله وهب له مزية البحث التاريخى؛ فوقف عليه كثيراً من وقته ؛ ودرس حتى حصل على دبلوم فى الآثار من جامعة فؤاد الأول . ولا أطيل الثناء على هذا الصديق الوفى ، فأن أبحاثه ورسائله النفيسة الممتعة تغنيه عن كل ثناء . فهو صاحب كتاب « الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير » وهو سفر تاريخى قيم ؛ وصاحب رسائل « معارك مصرية فى القرن التاسع عشر » ، و « الصحراء المصرية والحرب » ، و « القائد إبراهيم » ، و « معارك مصرية فى القرن العشرين » ، و « موقعة كادش بين مصر وختيا » مشتركا مع الأستاذ محمد فاضل يوسف . و « حروب مصر القديمة » مشتركا مع اليوزباشى محمد حسين عواد . وغيرها .

وفى الكتاب أبواب عن قاهرة المعز، وقاهرة صلاح الدين، وقاهرة دولتى المماليك، وقاهرة الباشوات والبكوات . وقاهرة محمد على باشا ، وقاهرة الخديو اسماعيل وقاهرة المغفور له الملك فؤاد وقاهرة الفاروق

وفى خلال هذه الأبواب فصول طريفة عن قصور القاهرة وأخطاطها ومساجدها وأسواقها ومشاهدها وحفلاتها ودور كتبها ومدارسها وكل أثر للحياة فيها . والكتاب يحق يعد تتمة لخطط على باشا مبارك على فرق ما بين الكتابين من الاجمال والتفصيل

إن مراجع المؤلف التى أثبتها فى آخر الكتاب تدل على اطلاع واسع ؛ وقد استطاع صديقنا أن يصور لنا القاهرة فى ألف سنة فى « فيلم » تاريخى جميل

وإذا كانت العواصم حبيبة إلى نفوس الأهل ، فإن هذا الكتاب جدير أن يكون حبيباً إلى نفوس القراء .

محمد عبد الغنى حسن